



أصبحت الأراضي السورية مسرحاً للصراعات السياسية الدولية، ولا يبالغ إن قلنا إنها حرب عالمية مصغرة تدور رحاها حالياً في أرض الشام.

تجاوز النظام السوري لهذه المرحلة العصيبة التي يمر بها يعد انتصاراً إيرانياً بالدرجة الأولى، وسوف يؤدي، ولا شك، إلى مزيد من التوغل الإيراني في المنطقة العربية ومكافآت النظام السوري لنظيره الإيراني سوف تتجاوز كل التوقعات.

إذن فالأمر ليس ممحوباً في سوريا وحدها، بل إن أثر ذلك يتجاوز إلى معظم دول المنطقة، ومتى ما كسبت إيران المعركة في سوريا، فإن ذلك سوف يفتح شهيتها، ولا شك، لمزيد من فتح الصراعات في الداخل العربي والإقليمي.

ترمي إيران بكامل ثقلها على الأراضي السورية ممثلة في الحرس الثوري وفيلق القدس، اللذين يقودان المعركة ضد الثوار السوريين، وأصبح الجيش السوري تحت إمرة هذه القوة التي جهزتها إيران بكل ما تحتاجه من عتاد عسكري واستخباراتي، وبتوطئٍ صريح من قبل الحكومة العراقية، كما كشفت بعض التقارير أخيراً، عن تسهيل كل السبل لعبور الدعم الإيراني إلى سوريا عبر العراق.

فيما يتعلق بالوجود العسكري الإيراني على الأراضي السورية، فهو حقيقة لا يساورها الشك، فلقد كشفت تسجيلات الفيديو الأخيرة التي نشرها الثوار السوريون على موقع التواصل الاجتماعي، وقامت قناة BBC بي بي سي البريطانية (الناطقة بالفارسية) بتفحص هذه المقاطع وعرضها على مختصين عسكريين وإعلاميين، أكدوا بدورهم عدم تعرض هذه التسجيلات لأي فبركة أو محاولات للتلاعب بمحتها. التسجيل المصور يظهر منتجاً سينمائياً إيرانياً شهيراً يدعى هادي باغباني، قام الحرس الثوري الإيراني بإرساله من العاصمة الإيرانية طهران إلى سوريا بهدف تغطية العمليات التي يقوم بها أفراد الحرس الثوري على الأراضي السورية وطريقة عملهم هناك، ومن ثم يجري إرسال ما يسجل إلى قيادة الحرس الثوري في طهران لتكون على اطلاع كامل بما يدور على الأراضي السورية.

ولقد شاهدنا في التسجيل، قيام ضباط من الحرس الثوري بتفقد القرى في ريف حلب وتوجيه الأوامر للجيش السوري وكذلك توجيه انتقادات حادة لطريقة عملهم، خاصة فيما يتعلق بالحواجز التي يقيمها الجيش النظامي في تلك المناطق. كما

قام المنتج الإيراني بإجراء مقابلات مع بعض ضباط الحرس الثوري الإيراني الموجودين في القاعدة العسكرية الإيرانية هناك، وتوثيق نشاطهم اليومي داخل القاعدة وخارجها. ولسوء حظ إيران، فقد قرر هذا المنتج السينمائي مرافقة وحدة إيرانية تقوم باستطلاع ومسح للمنطقة، ولكنهم وقعوا في فخ محكم خطط له الثوار السوريون بعناية فائقة.

لمح الفرقة الإيرانية شيئاً ما تحرك في إحدى مناطق ريف حلب وأرادت التأكد منه، ولكن تفاجأت بعد لحظات أنها قد وقعت في فخ لم تتوقعه ودارت معركة شرسة بين الجانبين انتهت بمقتل معظم أفراد هذه الوحدة الإيرانية، بالإضافة إلى المصوّر المرافق، وبالتالي وصل الثوار السوريون إلى الكاميرا ووجدوا هذه التفصيـلـ كـاملـةـ.

ولقد أقيم في إيران أخيراً مراسم تشييع لمن قتل من أفراد الحرس الثوري في سوريا.

إضافة إلى هذه الوحدة فقد طالعنا الإعلام الإيراني قبل بضعة أيام بخبر مقتل أحد أهم قياديـيـ الحرس الثوري في سوريا ويدعـيـ محمد جـمـاليـ زـادـهـ، وهو عـضـوـ فيـ الحـرـسـ الثـورـيـ وـكـانـ يـعـمـلـ قـبـلـ تـوـجـهـهـ إـلـىـ سـوـرـيـاـ فيـ مـعـسـكـرـ «ـثـارـ اللـهـ»ـ التـابـعـ للـقـوـاتـ الـبـرـيـةـ فيـ الـحـرـسـ الثـورـيـ فيـ مـدـيـنـةـ كـرـمـانـ إـلـيـانـيـةـ.

الكشف عن وجود القوات الإيرانية على الأراضي السورية لم يتوقف عن هذا الحد، بل وصل إلى أبعد من ذلك فقد كشف عضـوـ لـجـنـةـ الـأـمـنـ الـقـوـمـيـ وـالـسـيـاسـةـ الـخـارـجـيـةـ فـيـ الـبـرـلـمـانـ إـلـيـانـيـ جـوـادـ كـرـيـمـيـ قـدـوـسـيـ، أـخـيـراـ، عـنـ وـجـودـ مـئـاتـ الـكـاتـبـ الـعـسـكـرـيـةـ التـابـعـ لـإـلـيـانـ الـتـقـاـلـ إـلـىـ جـانـبـ قـوـاتـ بـشـارـ الـأـسـدـ، مـؤـكـدـاـ وـقـوـفـ إـلـيـانـ خـلـفـ «ـالـانتـصـارـاتـ»ـ الـتـيـ حـقـقـهـ الـجـيـشـ السـوـرـيـ أـخـيـراـ، عـلـىـ حدـ تـبـيـيـرـهـ..ـ وـأـضـافـ قـدـوـسـيـ:ـ «ـتـوـجـدـ مـئـاتـ الـكـاتـبـ إـلـيـانـيـةـ عـلـىـ الـأـرـاضـيـ السـوـرـيـةـ، وـقـدـ تـسـمـعـونـ أـنـبـاءـ عـنـ اـنـتـصـارـاتـ عـلـىـ لـسـانـ قـائـدـ عـسـكـرـيـ سـوـرـيـ، إـلـاـ أـنـ الـقـوـاتـ إـلـيـانـيـةـ هـيـ الـتـيـ تـقـفـ خـلـفـ تـلـكـ الـانتـصـارـاتـ»ـ.

هـذـاـ الـاعـتـرـافـ الـصـرـيـحـ تـسـبـبـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـانتـقـادـاتـ لـقـدـوـسـيـ،ـ كـمـاـ خـرـجـ الـمـتـحـدـثـ بـاسـمـ الـحـرـسـ الثـورـيـ لـلـإـعـلـامـ وـيـنـفيـ ذـلـكـ جـمـلةـ وـتـفـصـيـلــاـ.

هـذـاـ التـسـجـيلـ وـغـيـرـهـ مـنـ التـسـجـيلـاتـ الـتـيـ جـرـىـ تـسـرـيـبـهـاـ أـخـيـراـ،ـ وـكـذـلـكـ تـصـرـيـحـاتـ بـعـضـ الـمـسـؤـولـيـنـ إـلـيـانـيـيـنـ،ـ لـاـ يـضـيفـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ الـتـيـ يـدـرـكـهـاـ الـجـمـيعـ الـكـثـيرـ،ـ بـلـ إـنـ ذـلـكـ مـزـيدـ مـنـ التـوـثـيقـ لـلـوـجـودـ الـعـسـكـرـيـ إـلـيـانـيـ عـلـىـ الـأـرـاضـيـ السـوـرـيـةـ وـالـقـتـالـ إـلـىـ جـانـبـ الـنـظـامـ ضـدـ الـشـعـبـ السـوـرـيـ،ـ وـيـظـهـرـ بـجـلـاءـ أـنـ الـمـعـرـكـةـ فـيـ سـوـرـيـاـ وـتـعـقـيـدـاتـهـاـ أـكـبـرـ مـنـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ وـقـدـرـاتـهـ بـمـراـحـلـ كـبـيرـةـ.

هـذـاـ التـكـتـلـ الـكـبـيرـ خـلـفـ الـنـظـامـ الـحـاـكـمـ فـيـ سـوـرـيـاـ مـنـ قـبـلـ حـلـفـائـهـ خـاصـةـ رـوـسـيـاـ وـإـلـيـانـ،ـ يـقـابـلـهـ تـشـرـنـزـمـ وـاـخـتـلـافـ فـيـ وـجـهـاتـ الـنـظـرـ لـلـقـوـيـ الـعـرـبـيـةـ وـإـسـلـامـيـةـ الـأـخـرـىـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ.ـ يـلـاحـظـ الـمـتـابـعـ لـمـاـ يـدـورـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ مـنـ مـسـتـجـدـاتـ تـرـاجـعـاـ كـبـيرـاـ فـيـ مـوـاـقـعـ بـعـضـ الـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ وـإـسـلـامـيـةـ الـأـخـرـىـ،ـ خـاصـةـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـمـوـقـفـ الـتـرـكـيـ الـذـيـ تـغـيـرـ كـثـيرـاـ فـيـ الـأـشـهـرـ الـقـلـيلـةـ الـمـاـضـيـةـ سـيـماـ بـعـدـ عـزـلـ الرـئـيـسـ الـمـصـرـيـ مـحـمـدـ مـرـسـيـ.ـ لـقـدـ بـدـأـتـ الـحـكـومـةـ تـتـحـولـ تـدـرـيـجـيـاـ إـلـىـ الـجـانـبـ إـلـيـانـيـ وـالـعـزـفـ عـلـىـ وـتـرـ الـمـجـمـوـعـاتـ إـلـيـرـهـابـيـةـ عـلـىـ الـأـرـاضـيـ السـوـرـيـةـ.ـ فـقـدـ صـرـحـ الرـئـيـسـ الـتـرـكـيـ عـبـدـ اللـهـ غـلـ لـصـحـيـفـةـ «ـالـغـارـيـانـ»ـ الـبـرـيـطـانـيـةـ فـيـ قـائـلـاـ،ـ إـنـ «ـالـمـتـشـدـدـيـنـ فـيـ سـوـرـيـاـ يـشـكـلـونـ خـطـراـ حـقـيـقـيـاـ عـلـىـ أـورـوـبـاـ،ـ وـسـوـفـ تـصـبـحـ سـوـرـيـاـ نـمـوذـجـاـ أـفـغـانـيـاـ آـخـرـ فـيـ حـوـضـ الـبـحـرـ الـأـبـيـضـ الـمـتو~سطـ»ـ.

نعم، لـنـقـولـهـاـ بـصـرـاحـةـ كـبـيرـةـ،ـ تـرـكـياـ مـتـأـرـجـحةـ فـيـ مـوـاـقـعـهـاـ بـشـكـلـ كـبـيرـ فـيـ الـوقـتـ الـراـهـنـ،ـ فـالـنـزـعـةـ الـقـومـيـةـ الـتـرـكـيـةـ (ـالـأـتـاـتـورـكـيـةـ)ـ تـنـجـازـبـ مـعـ تـوـجـهـ حـزـبـ الـعـدـالـةـ وـالـتـنـمـيـةـ ذـيـ التـوـجـهـاتـ إـلـيـلـامـيـةـ،ـ وـالـطـمـوـحـ فـيـ دـخـولـ النـادـيـ الـأـوـرـوـبـيـ يـتـصـارـعـ مـعـ الـاتـجـاهـ نـحـوـ آـسـيـاـ وـالـشـرـقـ الـأـوـسـطـ تـحـديـداـ،ـ كـمـاـ أـنـ أـنـقـرـةـ لـاـ تـزـالـ غـيرـ وـاثـقـةـ بـخـطـوـاتـهـاـ فـيـماـ يـتـعـلـقـ بـالـعـلـاقـةـ مـعـ إـلـيـانـ،ـ تـخـشـىـ وـرـقـةـ الـأـكـرـادـ وـتـخـافـ الـلـوـبـيـ إـلـيـانـيـ الـمـتـو~غلـ فـيـ الدـاـخـلـ الـتـرـكـيـ وـعـلـىـ عـدـةـ أـصـعـدـةـ،ـ كـلـ هـذـاـ وـغـيـرـهـ سـاـعـدـ عـلـىـ تـرـاجـعـ مـوـقـعـهـاـ مـنـ الـثـورـةـ السـوـرـيـةـ.

ختاما.. مؤشر بوصلة مستقبل المنطقة يشير نحو سوريا، فدعم الثورة السورية يمثل الخيار الاستراتيجي والسياسي الوحدة لدول المنطقة، متى ما أرادت كبح جماح مطامع إيران التوسعية. لذا فعلى دول المنطقة الالتفاف حول بعضها في هذا الجانب وتوحيد موقفها إزاء ما يدور على الأراضي السورية بعيداً عن أي مواقف حزبية وخلافات آيديولوجية ومحاولات للمقايضة فيما يتعلق ببعض القضايا الصغيرة هنا وهناك، فكل ذلك لن يزيد هذه الدول إلا تشرذماً وفرقةً وضعفاً.

الشرق الأوسط

المصادر: